صدى الحرية / العدد السابع و الستون / الجمعة 27 / حزيـــران / 2014 .

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

* أسبوعية .. ثورية .. اجتماعية .. منوعة *

شعبنا في الذاكرة دوماً .. لن ننساكم حتى نلحق بكم .

عندما قُتلنا أبنـــاءَنـا

هذا رأسي .. يا قاتلي

خالدون في الذاكرة

ما وراء الأصابع الداعشية (2)

قدسيا لا تعرف البكاء

من سرق الثورة ؟!

عدد خاص إهداء لأرواح شهداء

26/6/2012

Facebook / sadaALhoryehfreequd@gmail.com

عندما قتلنا أبناءنا

في ذلك الصباح تغير كل شيءٍ، توقفت حياتنا، تاهت ثورتنا، تبدلت مدينتنا، ولن يعود شيءٌ لما كان عليه قبل ذلك الصباح..

أحمد.. خالد.. ضرار.. هيثم.. ماجد، والآخرون، لما يكونوا أبطالاً فقط، ولا ثواراً فقط، ولا متظاهرين ومعتقلين فقط، ولا ناشطين في التصوير، والإعلام، والحماية، واستقبال وإغاثة أوائل الضيوف الذين احتضنتهم المدينة فقط، بل كانوا كل ذلك، وكانوا فوق ذلك، وقبل ذلك، بشراً، وناساً، طبيعيين، لكنهم كانوا أيضاً، فرساناً، نبلاء، وطليعيين...وكانوا يصنعون الأمل، ويخلقون الفرح، ويقودون الثورة بشجاعةٍ، وصدقٍ، وطهرٍ...كانوا أحياءً، وكانوا يحبون الحياة، وهم لم يحملوا سلاحهم، إلا لشدة عشقهم لها، ولمعرفتهم الأكيدة أنها لن تكون حقيقيةً، طالما بقي النظام، واستمر موجوداً..

ومنذ ذلك الصباح ارتقوا فوق الجميع، فوق الثورة، وفوق الحياة أيضاً، ومنذ ذلك الصباح انطلقوا، وصاروا في عليين..

ليس الهدف من هذه الكلمات تمجيد أولئك الفتية، وكيل المدائح والأشعار في ذكراهم، كما ليس الهدف منها، فتح خزائن الصدور مجدداً، وإطلاق ما فيها من مشاعر الحزن، والغضب، والألم على فقدهم، بل الهدف هو الاحتفال بحياتهم، وتكريس ذكراهم، والتأكيد على نهجهم، ونحسب أن ذلك لن يكون بوسيلةٍ خيرٌ من تمثل قيمهم، وسعيهم، وعملهم، وإن كانت مسيرة كل واحدٍ من أولئك الشباب، حافلةً، بالمآثر، والذكريات، والتفاصيل، إلا أنه يمكننا استخلاص عدة خصالٍ مشتركةٍ جمعت بينهم، كان منها الشجاعة في الحق، والجرأة في مواجهة الباطل، والصدق في عدم السكوت عن الخطأ، وتأسيساً على ذلك، لنا أن نسأل: ألا يجب محاسبة من تسبب بتلك المقتلة لطليعتنا ؟ وإلى متى نقبل بعد، بأن يستمر العمل، والقتال في الثورة بهذه الارتجالية، والفوضى، والعبث ؟

في ذلك الصباح حملتنا العشوائية، والتهور، وغياب الرؤية، وافتقار الخبرة، وانعدام التخطيط، إلى نتيجةٍ خسرنا معها خيرة كوادرنا، ممن لم نستطع حتى هذه اللحظة، أن نسد بعض ما تركه غيابهم من فراغٍ، ونقصٍ في ثورتنا، على كل المستويات والأصعدة، بالتأكيد هم كانوا استثنائيين، ومميزين، لكن الأكيد أيضاً، أن من قرر، ونفذ، وأمر بخوض تلك المعركة، لم يكن استثنائياً على الإطلاق، ولم يكن مؤهلاً، ولا مستعداً، لتحمل مسؤولية قيادة ثورةٍ، وتحرير بلدٍ، وحفظ أرواحٍ، وصون أعراضٍ، وحماية أملاكٍ، وسواها، ونحن إذ نقرر ذلك بناءً على ما جرى، وعلى ما زال يجري اليوم، لا نوجه أصابع الاتهام لشخصٍ معينٍ، أو أشخاصٍ محددين، بقدر ما نوجهها لعقليةٍ، وآليات تفكيرٍ، وسلوكياتٍ، وأخلاقٍ غائبةٍ، أو مترديةٍ، ليس تخلي وتراجع من هو أهلٌ للقيادة، وتقدم وتصدر من لا يحوز صفات ومؤهلات القيادة، إلا رأس جبل جليدها.

بعد ذلك الصباح تغيرت دروب الثورة، وتراجع إيقاع المدينة، ويمكن بإعمال الخيال، وباستعمال القياس، تصور صباحاتٍ مماثلةٍ، في مدنٍ، وأحياء، وقرىً أخرى، واستخلاص نتيجةٍ مفادها أن الثورة السورية بمجملها قد تغيرت، وانحرف مسارها، بنفس الطريقة، ولذات الأسباب المتمثلة في غياب القيادة الواعية، وضعف الرؤية، وانعدام التخطيط، ومن بعد ذلك الصباح أيضاً، توجه ثوارٌ نحو الانتقام والثأر، والخطف والقتل، وآخرون نحو السرقة والنهب والتهريب، بذرائع، وأسبابٍ، أو بردات فعلٍ، وفرتها لهم عقولهم الواهنة، وأتاح لها فراغنا المزمن من الأخلاق، والسياسية، والعقل، أن تنمو وتزدهر، لتغدو ظواهر اجتماعية، عامة، ارتكاسيه، فيما اتجه آخرون غيرهم ممن حازوا بعضاً من المواهب والقدرات والإمكانيات، وكان بعضهم يؤمل له دورٌ محوريٌ، إلى تأسيس الإمارات، وفرض (الغيتوات)، أو إلى نهب ما اكتسبوه خلال الثورة وهجرة البلاد..

وبعد ذلك بعدة صباحاتٍ أيضاً، أوصلتنا ذات العقلية، ونفس السلوكيات إلى مقتلةٍ أكبر، هذه المرة راح ضحيتها عسكريون أبطال: أبو شاكر.. أبو تيسير .. أبو أسعد.. فراس .. محمود .. وبقية الرفاق، ومدنيون أبرياء: أبو عبدو .. يامن ..أنس.. فواز.. أسامة، وغيرهم، كما أدت إلى إحراق المدينة، وتشريد أهلها، وتمزيق حياتهم، وهدر ذكرياتهم، وتدمير أحلامهم، وممتلكاتهم..

واستمرت بعد ذلك الصباحات، وبذات الإيقاع والتكرار، لتُدَمر، وتَغتال، وتُعذب، أو لتُجوع، وتُشرد، وتُحاصر، المدن والسكان والنازحين، وبطرق أبشع، وبتبريراتٍ أسوء، ولا من متعظٍ، أو معتبرٍ، أو منتقدٍ، أو كاشفٍ، أو فاضحٍ لذلك، عل الحال يتبدل، والواقع يتغير، التدهور ينكفئ، عوضاً عن التفاقم والتعاظم..

العلة ليست في النظام، والمشكلة لم تكن الثورة، والأغلب أن سبب العلل ومصدر الكثير من المشاكل، كان، ولازال، وسيبقى، نحن، نحن الذين خلقنا الأنظمة، ونحن الذين كرسنا العادات والممارسات، ونحن من نفخ في أشلائها الروح، ونحن من أسس، وأشاد، صروح الباطل، ونحن من اعتاد التبرير، والتهادن، والتسويف، ونحن من سكت عن الجرائم طويلاً، ومن ثم قررنا أن نقوم بثورةٍ، ثم كان أول ما فعلناه هو تمثلنا أخلاق، وصفات، وإجرام من ادعينا محاربته، وكنا قد حاولنا خداع أنفسنا بالقول: بأننا غيره، وبأننا خيرٌ منه، وأن الحق، والخير، والعدل، والجمال، والفن، متأصلات فينا، بينما الشر، كل الشر متجسدٌ في عدونا..

بالتأكيد، لا أقول أننا سيئون، ومخطئون بالمطلق، ولا أزعم أننا أشرارٌ بالفطرة، ولا أقول أن النظام خيرٌ منا، ما أقوله ببساطةٍ، أننا بشرٌ، وكأي بشرٍ نخطأ ونصيب، نضل ونهتدي، نجرم ونعدل، نحب ونكره، نجهل ونتعلم، ولذلك، وفي هذا الصباح، أدعو نفسي، وبقية الرفاق، إلى الاستيقاظ مجدداً، والعمل ثانيةً، باستعمال ما نحوزه من عقلٍ، ووعيٍ، وإرادةٍ، وأخلاقٍ، على تدارك أخطائنا، وتقويم اعوجاجنا، وبتر تجاوزاتنا، فالثورة لم تنتهِ، بل لعلها لم تبدأ بعد، ودماء شهداءنا لم تجف، وحقهم علينا أن نكمل الطريق الذي بدؤوه، وإن لم نفعل ذلك فلن نحصد إلا قتلاً لأنفسنا، بعدما قتلنا شهدائنا ذات صباحٍ..

خالدون في الذاكرة

المقارنة بين الأمس واليوم ضرورة لنقف على أسباب ما آلت إليه الأمور في مدينة صغيرة ثارت على نظام الأسد وتحولت ثورتها بعد أعوامٍ قليلة من حالٍ إلى حال، فبعد أن واجه الثوار محاولة اقتحام المدينة بأسلحتهم البسيطة وتصدوا للعدوان في معركةٍ غير متكافئة ارتقى فيها ثلةٌ من خيرت الشباب، وسطروا ملحمة بطولية تجبرنا اليوم عن الحديث عنها وبحث دروسها وأخذ العبر منها، ويفرض الثوار آنذاك وجودهم واحترامهم بين الناس في المدينة، ثم لتنحو الأمور بعدها وفق نهجٍ آخر، ويتحامل الناس على الثورة ورجالاتها، نتيجة الكثير من الأخطاء التي وقعنا بها، وارتكبها البعض عامداً حين توهم أو افترض أنه يمتلك القوة على الأرض على غرار ما كان عليه الواقع في العام 2012 وتحديداً حتى تاريخ 26/6 هذا التوصيف لا ينبغي أن يفهم أنه مجرد تصوير حقائق أو جلدٍ للذات بل يأتي لنفتح الباب ونتساءل عن الأسباب الكامنة وراء هذا التحول الجذري في حياة الثورة بمدينة قدسيا، ووضع الحد لها لنكمل المشوار، وإذا لم يكن مطلوباً منا فتح ملفات الفساد باسم الثورة، فنحن مطالبون بالكف عن الأعمال التي سحبت غطاء الشرعية عن الثورة في المدينة وإن كنا نعتقد أنها حقيقةً لا تزال تمتلكه لكن البعض افتقده وخرج من عباءة الثورة، التي صارت باباً للرزق وفرض النفوذ بالقوة على أبناء المدينة في ظاهرةٍ تشبه لدرجةٍ كبيرة أسلوب نظام الأسد في ((التشبيح))، ويدفعنا التفكر بتاريخ انتصار 26/6 وما نحن فيه اليوم لنقول أننا لم نتعلم شيئاً من أخطائنا، بل إنا تراجعنا للخلف، فليست الممارسات الخاطئة وحدها التي وقفت خلف تقهقرنا، بل إن قلة التنظيم وافتقارنا لرؤية مستقبلية، وفهم حقيقة المنطقة وطبيعة جغرافيتها والكثير غيرها أدت مجتمعة لهذه الصورة.

في ذكرى 26/6 يجب أن نفتح صفحةً جديدة في تاريخ الثورة، لا نعترف فيها بأولئك الذين اختاروا الخروج عن أهدافها وقيمها، وأن ندرك أن الفوضى هي حالة طبيعية في ظل غياب الضمير لكن يمكن السيطرة عليها فقط في حالة واحدة هي إرادتنا لذلك واجتماعنا على كلمة واحدة، إذ لا سبيل إلا التكاتف ولتكن هذه الذكرى انتصاراً على الظلم والرعونات، كما كانت قبل عامين، ولعل اقتراب شهر رمضان المبارك يعيد ترتيب الأوراق، ويؤسس لاستثمار العبادة في الجهاد الحقيقي، بنيةٍ خالصةٍ لله تعالى، لا تشوبها شائبة، وعملٍ جاد لاستعادة الكرامة والانتصار للحق. وننطلق من الذكرى نحو رمضان ننتصر فيه إيمانياً وعملياً ونفرض وجوده على القلوب والأعمال منتهجين سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يذكر أصحابه في اول رمضان بقوله: ((أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب الجحيم، وتغل مردة الشياطين، فيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم))، فرائحة النصر مازلنا نشتم نسيمها ونحيا بظلالها. نستمد منها شعلة الثورة كلما أحسسنا بها تخبو.

من ناحية أخرى ننوه لما حدث قبل أيام من حالات تسمم سببها مياه الشرب الملوثة والتي أثرت على العديد من الأشخاص دون أن تسجل حالة وفاة ولله الحمد والمنة، ونسأل الله العافية للجميع. ولم نقف على الأسباب التي أدت لهذا التلوث بعد.

أسرة المجلة تدعو الله تبارك وتعالى أن يفرج عن هذه الأمة، ويجمع الكلمة، وتهنئ أسر الشهداء بانتصار 26/6/2012 بوجهٍ خاص، وعموم سكان قدسيا بالشهر الكريم، وتدعوهم لوقفة تأملٍ في حال البلاد لعل الله يجعل النصر في القريب وليس ذلك على الله بعزيز، ومهما طال الظلم وامتد ليله فالفجر بانت طلائعه في الأفق، وخفقت له قلوب الشرفاء، وسكبت على أعتابه قرابين الدماء الطاهرة.

قدسيا لا تعرف البكاء

من كلِّ جهاتها الأربع تتربَّعُ قدسيا بكل شموخ كأنها حربةٌ مسنونةٌ في صدر نظام الأسد الفاشيِّ، هذه هي قدسيا أرضُ كرامةٍ وشموخٍ، خرج شبابُها المخلصون في مظاهراتهم الأولى نصرةً لأطفال درعا، ثم نصرةً لأهل حمص العَدِيَّة، ومرَّت السنة الأولى من عمر الثورة، فاعْتُقِلَ من أبنائها من اعْتُقِل، وجُرِحَ برصاص الغدر في المظاهرات مَنْ جُرح، وفي السادس والعشرين من صيفُ حزيران سنة (2012) دخلَتْ إليها قوات الأسد بكلِّ العتاد الحربيّ، لأنَّ بشار الأسد كان قد تذكَّر صبيحة ذلك اليوم عارَ أبيه الخائن مُفَبْرِكِ النَّكسةِ في صيفِ حزيرانَ سنة (1967) فأدخلَ حُماة الدِّيار إلى قدسيا صيفَ حزيران من سنة (2012) ليستردَّ الجولان ويَعْبُرَ منها إلى القدس.

نتذكر دخول أبناءِ اللقيطة من جيش بشَّار إلى قدسيا في العاشر من العام نفسه، وفي مشهدٍ عظيمٍ خلَّده التاريخ على صفحات (اليوتيوب) لإنجازات الجيش العربي السوريِّ في قدسيا نرى أحدَ جنود الأسد الأشاوس يحمل على ظهره حقيبة مدرسيَّةً مسروقةً حَشَرَ فيها انتصاراته على أبناء الوطن، وما زال صوتُ ذلك الجندي يهدر بشعارات الصمود والتصدي (الأسد أو نحرق البلد) أَجَلْ، ما أجملُه من شعار لحماة الديار، هؤلاء هم مبعثُ فخرٍ حقيقيّ لكل جيوش العالم الوطنيَّة، ما أعظم هذا الجيشَ الوطنيَّ الذي يجب علينا أن نفتخر بأنَّ أطول الحروب التي خاضها كانت ضد شعبه، وما أعظم هذا الانتصار التاريخيَّ لجيش حرامية الدِّيار، الذي أسَّسه حافظ، وورثه عنه سليل الخيانة بشار، في كتاب الخزي والعار، حيث للتاريخ ذاكرةٌ لا تعرف النسيان.

بعيداً عن ذلك الوجه المخزي، نقرأ في صفحة أخرى من كتابٍ آخر مختلفٍ قصَّة عن رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فانتفضوا في وجه جرذان الأسد دفاعاً عن الأرض والعِرْض والكرامة، رجالٌ كأنهم الكواكبُ الدُّرِيَّة، ما زال ذكرهم العاطر محفوراً في ذاكرة قدسيا، إنهم أبناؤها الذين قضوا دفاعاً عنها، اختارتهم يدُ الرحمن ليكونوا في جنَّة الخلد، لم يكن ذلك اليومُ يومَ خسران، بلْ كان اليومَ الذي ربحَ فيه البيع، وربحَتْ فيه التجارة مع الله، مصداق حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « مَنْ قَصَلَ في سبيل اللَّه فماتَ أو قُتِلَ فهو شهيد" وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ قُتِلَ دونَ مالِهِ فهو شهيد، ومَنْ قُتِلَ دونَ أهله أو دونَ دمِهِ أو دون دينه فهو شهيد» هذه هي قدسيا بلدُ الشُّهداء قد زَفَّتْ أخيار رجالها في ذلك اليوم الحُزيرانيِّ إلى الجنَّة، فكانوا في جَنْبِ الله فرحينَ بما آتاهم رَبُّهم، ومَنْ قال إنَّ قدسيا بكَتْ فهو مخطئٌ واهمٌ، قدسيا لا تعرف البكاء، كيف لمدينةٍ مثلها كانت طريقاً إلى الجنَّة أن تعرف البكاء، بين ترابها ومائها اختلطَتْ دماءُ الشهداء، وبين أرضها وسمائها حلَّقَتْ أرواحُهم بإذن ربِّها إلى جنان الخلد، لا نبكيهم بلْ نبكي أنفسَنا أنَّنا لم نلحق بهم.

قدسيَّا التي زَفَّتْ شهداءها في السادس والعشرين من صيف حزيران سنة (2012) ما زالت تُتْبِعُهُم بقوافل أخرى من نور، فَمِنْ رجالها مَنْ قضى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر، وإنَّا لَنَعِدُكَ يا بشار يا غدَّار بأنَّنا سنبذل للنَّصر أموالَنا وأنفسَنا، فإن ظننْتَ أنَّنا مهزومون فقد خَسِئْتَ، وإنْ ظَنَنْتَ أنَّ العزائمَ خارَتْ فقد كَذَبْتَ، لأنَّ كلَّ شهيد مضى يُولَدُ من ورائه مشروعُ ألفِ ألفِ شهيد بإذن الله، لنا الحياةُ كريمةً، أو نقضي دونَها من غير ذلٍّ، ولك ولجيشك المهزوم الخزي والعار في صفحات التاريخ.

واعلم أيُّها الأسد الخائرُ أنَّنا لا نقاتلك بائتلاف خارجيٍّ نسيَ قضيَّةَ أُمَّته، ولا نقاتلك بتحالفٍ دوليٍّ تاجرَ بحقوقنا، فنحن لسنا بسطاء حتى نظنَّ أنَّ النَّصرَ من هناك، النَّصرُ بإذن الله هنا، حيث سجود السَّاجدين، وأعمال المخلصين، ودم الأبرياء الطَّاهرين، فسلاماً وألف ألف سلامٍ لكلِّ قطرة دمٍ طاهرة أُريقَتْ على أرض وطني، سلامي لكلِّ ترابه الطَّاهر الحرُّ، وألف ألف رحمة من الله عليكم يا شهداء الحريَّة في كل سوريَّا، و يا شهداء الحريَّة في قطعة قلبي (قدسيا).

هذا رأسي .. يا قاتلي

ل . ن

لا ترموا برأسي بعيداً، أكره أن أبحث عن رأسي فلا أجده، ولا تذهبوا بقلبي غرباً، أحب دماثة الشرق، وإذا رأيتم في يدي، عروقاً خضراء، اقتلعوها، لطالما كرهت عروقي البارزة، وفي مرفقيّ اعوجاج، اكسروا عظمي وقوموه.

لديّ أذنا قطة، أحب القطط في منازل الفقراء، اتركوا أذنيّ، أخاف أن تناديني أمي فلا أسمع، وفي رقبتي مذياعٌ قديم وحنجرةٌ صغيرة، اختارا حديث الإشارات، لذا لا ضير إن سالت منهما دماءٌ حبيسة.

وعلى صدري مسيحٌ مصلوب، أنزلوه، آن له أن ينزل، وفي جذعي رصاصةٌ صدئة، هي لكم، احتفظت بها خلف عظمةٍ مثقوبة، وتحت جلدي خبأت سلاحي، مسدسٌ معطوب، هو لكم، أعرف أنكم تحبون العطب، وفي ساقيّ جروحٌ من سقطةٍ قاتلة، يومها لم أمت، فقط كتبوا تاريخ ميلادي بالطول، كي لا أضيع.

أحب السواطير، وتغريني الأشلاء المتبقية، ففي ظهري غرز إخوتي أظافر بلا معاصم، لكن لا تجعلوا من قدميّ أضحوكة، في صغري ارتديت حذاء أخي الأصغر، أكره أحذية الكبار.

وفي المساء، بعثروني كما شئتم، أعرف رائحتي، في جسمي رائحة وردةٍ ذابلة، وبين عيني طلاءٌ أزرق، عشيقي يحب الأزرق، في لقائنا الأول أهداني وردةً حمراء، فيها شوكٌ مزرق، وإذا أرهقكم البحث عن مكانٍ لجثتي، ارموني من على سطح جبل، أحب المرتفعات، وإن علقتموني على مئذنة جامع، سأضحك كثيراً، أحب السجود من علٍ، وإذا طلع الصباح، قبل أن يدوسني كلبٌ شارد، سأبكي دم الشهداء، ولن يطول بكائي، ففي فمي نمت كلمات، الرحمة ... الرحمة... لك أنت يا قاتلي.

جنون القصيدة

(للراحلين)
طوبى لكم فمن رفاتكم تستمد القصيدة روحها...
***

(للناجين من المحرقة)
أخاف عليكم لهيب القصائد ....
***

(للأطفال الجائعين)
سنمنحكم حليب القصيدة فهو كامل الوهم ....
***

(للراجفين)
ستدفئكم نار القصيدة ونلبسكم عريها ...
***

(للمعاقين)
تعالوا أسلفكم ذراع القصيدة ....
***

(للمقاتلين)
ذخروا أسلحتكم بالقصائد فهي أشد فتكاً ...
***

(لجمهور القصيدة)
صفقوا ... كي نزداد قتلاً
(لأشباه الشعراء)
أكتبوا أضعف الإيمان فهو أكثر جزالة ..
***

(للطاغية)
" ولا تمش في الأرض مرحاً " يوماً ستدعسك القصيدة ..
***

(لي)
" يداي أوكتا " وشعري نفخ ...
***

(للشاعر)
امسح الدماء عن الحروف وأخفِ سلاح القصيدة ...
***

(للفرات)
أنت وحدك من يستحق نوط القصائد ...
***

(للعرب)
هل ستصحون يوماً من سُكْرِ القصائد

ما وراء الأصابع الداعشية (2)
على هامش الغزل الأمريكي – الإيراني

نبيل شبيب

لا يوجد في السياسة ما يوصف عادةً بالغزل لدى من يعلق على شبيه ما نشهده الآن من تصريحات أمريكية–إيرانية متبادلة على خلفية المشهد الثوري في العراق، إنما تجري الاتصالات بلغة المصالح، تحت ضغط السعي للأخذ أكثر من العطاء .وفي حالة كحالة المشهد العراقي حيث تصبح ,,الخسارة'' وليس المكاسب هي الميزان بين طرفين سياسيين، تتحول لغة المصالح إلى لغة المساومات. كذلك لا يوجد في عالم السياسة المعاصر – مهما بلغت التأكيدات الرسمية– فصل قضية عن قضية إذا وجد طرفان في أكثر من قضية ساخنة، كما هو الحال الآن تحت عناوين العراق وسورية والملف النووي، وآنذاك سرعان ما تجد المقايضات طريقها إلى الاتصالات إلى جانب لغة المصالح والمساومات. ما يجري في المشاهد الثلاثة المعنية الآن، وما انطلق من تصريحات إيرانية وأمريكية، لا يعطي مؤشرات كافية لترجيح ما يمكن أن يسفر عنه التواصل بين الجانبين، ولكن يوجد بعض المؤشرات لطرح التساؤلات على الأقل.

١ –هل يراد استغلال ما يجري في العراق لانتزاع أكبر قدر ممكن من التنازلات الإيرانية على صعيد الملف النووي؟ .. المحادثات الجارية لا تؤكد ذلك حتى الآن، وإن حصل فسيكون الثمن على حساب سورية والعراق معاً.

٢ –هل يسعى الجانبان لتعاون حقيقي بدعوى الحرب ضد إرهاب ,,داعش''، ولكن بصيغة صب الزيت على النار الطائفية المشتعلة منذ الاحتلال الأمريكي للعراق وتسليمه لهيمنة المشروع الإقليمي الإيراني، وإن صح ذلك هل يصل الحريق قريباً إلى الخليج، لا سيما في شرق السعودية؟ ..هذا غير مستبعد في سياسات لا أخلاق تضبطها.

٣ –أم يراد شغل إيران وأتباعها بالعراق تمهيدا لتسوية دولية وإقليمية يجري إعدادها لسورية، وهو ما تقول به مثلاً آخر التطورات ما بين تحجيم وجود الثوار في معركة الساحل، وبين الإفراج المتتابع عن المعتقلين، وبين إقرار بقايا النظام في سورية بتمرير المساعدات الإنسانية عبر دول مجاورة؟ ..هذا إن صح يعني توقع مضاعفة الضغوط على الثوار، عبر مزيد من الحصار، وهو ما بدأ فعلا بتوسيع دائرة استهداف جبهة النصرة مع بوادر انتقال ذلك إلى سواها.

٤ –أم يمكن أن نجنح بالخيال التحليلي السياسي قليلاً ونتصور النوايا الأمريكية على نقيض التصريحات الرسمية، أي أن المطلوب استهداف إيران في أحد مرتكزاتها الرئيسية للهيمنة الإقليمية، فإن خسرت ذلك في العراق، سيختلف المشهد في سورية ولبنان، ولا تكون إيران كما باتت توصف شرطياً ,,إقليميا''للهيمنة، بل تعود إلى دورها العتيق: شرطي الخليج، وهذا بالذات ما يمكن أن يتوافق مع الرؤية الإسرائيلية التي يحتضنها الغرب، لإعادة التوازن بين مشروعي الهيمنة الصهيوني والإيراني . . . .تكهنات.. تحتاج إلى مزيد من المؤشرات في المشاهد الثلاثة، قبل ترجيح تكهن على آخر، ولكن في سائر الأحوال، لن يبقى الوضع في مسار الثورة الشعبية في سورية على غرار ما كان عليه قبل اندلاع الأحداث الثورية المفاجئة بحجمها وليس بأصل وقوعها.

" رسائل إلى لا أحد " أقصد الى : " رماديي الفِكر "

سوريا بلد بسبع أرواح , لن تطغى شناعة المواقف وتخاذل البعض على قُدسية المكان , سوريا أقرب ما تكون إلى القلوب وأبعدها عن العيون , وكما ذكرت سابقاً "هي تلك البلاد التي لا يذكرني بها إلا ذاتها * " أعلم أنكم لا تستطيعون الوصول إليها , ولا أريد أن أحدثكم عنها بشكل عابر وسريع في نص ساذجٍ كهذا .. ! سنزورها يوماً بعد زوال الغمامة السوداء عنها .. كما قال أحدهم مرة : لأنه لا يسمح لي بدخول المدينة , قلت لامرأة تقطن هناك: كوني عيناي لأبصر بهما مدينتنا فتعالي " نستأجر" عيوناً ما هناك " على سبيل الماديات " .. ! اصبح التَحدثُ عن القيم الوطنية , وعن الاقتحامات التي تتَعرضْ لها المدن السّورية جريمةً سياسيةً بحتة . ! أعلم أنكم تنتمون لحزبٍ ما , وأنكم تحافظون على وطنيتكم بداخلكم دون أن تحاولوا أن تعرضوها أمام الجميع , و لا تخوضوا النقاشات التي ستنتهي بشتيمة قبيحة تشمل الأسد وداعش و المسؤولين والمتخاذلين أجمع.. !! انتم هكذا في كُل الأمور , لن يستطيع أحد الغوص في أعماقك كما فعلت , اراهنكم على ذلك ! لكن من سوء الحظ أيضاً انني أفهم تذبذباتكم وتناقضاتكم ومزاجيتكم و أفهمك بسوء المزاج السياسي وبأفضل حالاتكم , حتى موقفكم المتناقض اتجاه الحرية .. أستطيع أن أفهمه , لا ألومكم , كما اوضحتم لي تكراراً بأن الطريق مسدودة , وأن الظروف أقوى من كل شيء .. ولكن ما الذي يجعلنا خائفين لهذه الدرجة القذرة بأن نبقى رماديي الآراء ومعتوهي الفكر .. !!

من سرق الثورة...؟!

فرضيةٌ يمكن تأملها بجديةٍ في وقتٍ طال فيه أمد الصراع، وتحولاته، سواءً على الأرض السورية في الداخل، أو في الدهاليز السياسية وعواصم المجتمع الدولي، ولعل تعقد وتشابك المصالح وربما تعارضها في وقتٍ ما مع عدم إمكانية الالتقاء والتقاطع جعل من الفرضية برهاناً على كارثة السرقة، وليس غريباً أن تسمع من بعض الناس أنه يقول: ((لو عرفنا ثمن الثورة لكان لنا قولٌ آخر)). غير أنّ هذا المنطق خطأ من عدة أوجه : أولاً: يركّز هذا المنطق على المدى القصير المنظور فحسب. إذ إن النتائج التي تلي هذه المرحلة هي الغائب عن أذهان البعض، ولعل افتقار الثورة للمنظرين المخلصين العاملين على الأرض لرسم صورةٍ مستقبلية هو من دعم هذا الرأي. ولولا هذا الرفض لحالة الفساد التي خلفها نظام الأسد طيلة عقود من الزمن لاستمرّ هذا القمع عدّة عقود أخرى. فهل يمكن القول إنّ مساعي الثوار للاعتراف بهم مواطنين أحراراً بحسب – ((الدستور)) – كان خطأً؟

ثانياً: لا تعرف الأمم ماذا يمكن أن يكون قد حصل لو لم يفعلوا ما فعلوا، فلربما ازداد الشقاء الذي يعيشون تحته لو لم يثوروا. والنظرة الممحّصة للواقع في سورية تدلّ بوضوح أنّ النظام الحاكم كان يقود البلد إلى حال عبودية تامة، محيطاً نفسه بسياجٍ طائفي عشائري، محميّ بسياجٍ آخر من المنتفعين، ليرضخ الشعب رضوخ الذليل الذي لا يملك دفاعاً لا عن عرضٍ ولا عن دين.

ولا عجب أنّ التذمّر أكثر ما يُسمع من الرماديين وهم بالطبع أصحاب المقولة السابقة الذين حسبوا أن نظام الأسد أشبه بنظام القذافي وأن المجتمع الدولي سيتعامل مع الأمر بنفس الأسلوب، هؤلاء الرماديون الذين لم يخسروا كثيراً خلال الثورة، غير كدر أصوات القنابل تسقط على رؤوس غيرهم. وإنّه من فضل الله أنه لا يمكن تحديد أي فريق مسؤول عن إشعال الثورة، لأن أثمانها هي مما لا يمكن لأي حزب أو جماعة أو فصيل تحمّل تبعاته... الثورة هي كذا قدر هذا البلد.

ويؤكد المغرمون بالمنطق التآمري أنّ ثمة أصابع خارجية سبّبت قيام الثورة. أو ربما سرقتها لتبرير انسحابهم أو مواقفهم من النظام، ولكن انقداح الثورة كان نتيجة أسبابٍ موضوعية مفهومة. ولا جدل في أنّ قوى الثورة أخطأت كثيراً في خياراتها العملية، واعتمدت استراتيجياتٍ بدون أن تعدّ لها العدّة اللازمة. غير أنه من السذاجة بمكان الاعتقاد بأنّ النظام كان يمكن تأهليه بوسائل (حضارية) ناعمة. فقد بُنيت هيكلية النظام السوري وفق النموذج الستاليني. نموذجاً شموليّاً إلى أقصى الحدود، كتلةٌ صمّاء، إدارتها متمركزة في أيدٍ قليلة من المجرمين. وهذه الهيكلية مدعّمة بشبكة علاقات عشائرية/طائفية حاقدة على مجموع الشعب وتتمنى التشفّي منه. فهل تنصلح تركيبة الشرّ هذه بغير هدمها؟ في مثل هذا الضرب من الأنظمة الاستبدادية لا يوجد شيء اسمه معارضة. والنظام المدنيّ هو الذي تزيحه بثمنٍ معقول الاحتجاجاتُ الواسعة، لا النظام العسكريّ العسسيّ. وطبقات هذا النظام ثلاثة: عتاة المجرمين الذي يخونون البلد ويرهنون مصالحه الكبرى، وسرّاقٌ يبتزّون الناس، وأزلامٌ تابعون يلعقون ويصفّقون. ولا مكان لعزيزٍ كريمٍ في هذا النظام. طبعاً، أصبح دور اللاعبين الإقليميين هاماً، ولا غرابة في ذلك، فنحن نعيش عصر العولمة. وإنّ قَدَر أرض سورية في قلب بلاد الشام أن تكون عقدةً جيوسياسية بحيث أنّ أي تغيير فيها يسبّب تغييرات فيما حولها؛ أي أنه لا يمكن تخيّل عدم تدخّل القوى الإقليمية. وليس عيباً أنّ يوجد من يساعد بالمال (والسلاح)، فالنظام المجرم عنده من يدعمه أيضاً، وتكمن المشكلة في طريقة المساعدة لا في أصل مشروعيتها. والمصيبة هو أنه مقابل التصميم الأكيد لإيران ومقابل المصلحة الروسية الراجحة، تتصادم خطط (أصدقاء) سورية وتختلف نيّاتهم. وبعض الدول العربية من هؤلاء الأصدقاء تقدّم قليل الدعم للثورة وهمها إفشال الربيع العربي لا نجاحه. وهذه هي المعضلة، لا تستطيع الثورة الاستغناء عن (الأصدقاء) وقد تكالبت عليها قوى الأرض، ولا تستطيع الركون إلى دعمهم الموعود المتقطّع الذي يمشي على غير هدى... فبئس العشير. فهل اختطفت الثورة؟ الجواب: لا، حتى لو أضفنا لما سبق داعش وحالش وغيرها. هؤلاء أعداء الشعب وليسوا بديلاً ثورياً حتى يُحسبوا عليها. داعش و حالش وتوابعهما هم جزء من الطبيعة الإقليمية للصراع، ولا يشك شاكّ أنّ وراء كلّ منهما راعٍ دوليّ. أما من ناحية الثورة، فإنها لم تغيّر رأيها ولا هويتها ولا مطالبها.

فما زال المطلب العام للثورة هو الحرية والكرامة. ومن مقتضى الحرية والكرامة أن يعيش الناس وفق نمطهم المعاشي المعتاد من غير فرضٍ إيديولوجي. وما زالت الثورة تطمع في نظام حكمٍ على الطريقة الديمقراطية المؤسساتية الحديثة التي يتمّ فيها تقديم من عندهم أهليّة. وما زالت الثورة تتطلّع إلى مساواة المواطنين أمام قانونٍ عادل.

فإن قيل: إن الصراع بات حرباً أهلية كمل تردده بعض الأبواق، وبغضّ النظر عن الناشز من التصرّفات الفردية، يحدث القتال على خطّ سياسي واضح: مع النظام وضدّ النظام. نعم، تشكّلت أحقادٌ على خطّ الانتماء العلويّ، وما كان لها إلا أن تتشكّل. غير أنّ الثقافة السورية قادرةٌ على امتصاص النقمات إذا حلّ السلم ورافقته ترتيباتٌ عادلة. البعض يجزم أن تطبيق الشريعة الإسلامية هي الأنجع في تلك المرحلة ولهم تصوراتهم المقنعة. أثرتُ هذه الأسئلة لأن فيها عِبَراً ولأنها غالباً ما تكون قد امتزجت مع معاناةٍ وتضحياتٍ جسام هي حديث الشارع. وحيث أنّه ما زالت الثورة العربية تتفتّق وتعترك مع أعدائها الظاهرين ومنافقيها المتلصّصين، كان لا بدّ من بضع كلماتٍ تقشع الغبش عمّا ران على صورة الثورة وتعيد إلى الذهن البديهة التي قد يقمعها الألم .

قصّة المحنة السورية قصّة واضحة لا تحتمل التأويل، فهي بكل بساطة قصّة نظامٍ فاشيّ يقتل شعبه. ولم يكن يخطر ببالنا أن يعيش البلد مثل هذا المصير ثانية أو أن يكون جزءاً من بطشه الهمجي، وواجبنا أن لا نصغي إلى الإعلام الرجيم ولا نركن إلى وساوس الصدور، وأن نبذل غاية الوسع ولا نسخط على القدر التاريخي المكتوب.

دماءٌ زكية وشموس لا تغيب . . . . صفحة نقية كالثلج من تاريخ قدسيا وثورتها . . . . ورائحة الكرامة بدت في نسيم ذاك اليوم، فهل غيرتنا الأخطاء بعدهم ؟ أم ترانا لم نعد قادرين على المسير للأمام ؟ الثورة تجيب بأن الدماء حين تمتزج بإرادة التغيير، وتعلق رائحتها في أفئدتنا لا بد أن ننتصر . . . لا بد أن نسترد عافيتنا . . . إذا عرفنا الدرب الموصل إلى الله بصدق وإخلاص .

تحية لشعلة الثورة شهداء 26/6/2012 .

26/6/2012

شهداؤنا في الذاكرة دوماً .. لن ننساكم حتى نلحق بكم .